قرار بوتن المفاجئ وما بعده في سوريا
الكاتب : ياسر الزعاترة
التاريخ : 16 مارس 2016 م
المشاهدات : 4302

فاجأ بوتن العالم بقرار سحب الجزء الرئيسي من قواته في سوريا، تاركا العالم يتخبط في فهم القرار وأبعاده وأهدافه، حتى مضت ساعات طويلة على إعلان القرار، من دون أن يصدر من إيران، الحليف الأهم لروسيا في سوريا وغيرها أي تعليق، باستثناء تعليق لجواد ظريف كان أشبه بتحليل اضطر إليه في مؤتمر صحافي، فيما يعلم الجميع أن الملف السوري ليس بيده أصلا، ولا بيد روحاني.

في خلفيات القرار يمكن القول إن بوتن ومنذ اللحظة الأولى كان خائفا من تورط طويل في سوريا، وجاء بطء التقدم ليؤكد مخاوفه، لاسيَّما أنه يدرك تمام الإدراك حقيقة النوايا الأميركية حياله، والغربية عموما، والتي ترى في تورطه في سوريا فرصة لاستنزافه ورد الإهانة التي وجهها لهم في أوكرانيا.

وهنا يستحضر كثيرون قصة الطائرة السورية المقاتلة التي أسقطت بصاروخ حراري، وإمكانية أن يجري تسريب مضادات طيران للثوار تعيد تشكيل ميزان القوى، وتستعيد في ذاكرة الروس حكاية "ستينجر" في أفغانستان، والتي كانت مقدمة للهزيمة. لكن تدهور أسعار النفط كان عاملا آخر شكل ضغطا على أعصاب بوتين، وحيث لا يحتمل الاقتصاد الروسي تورطا مكلفا في سوريا.

في السياق السوري، يبدو من العبث تصديق قصة "تحقيق التدخل لأهدافه" التي وضعها بوتن في معرض تبرير القرار، اللهم إلا إذا أخذناه في سياق من تقديرات سابقة، تقول إن هدفه هو تأمين ممرات الدويلة العلوية، وهنا يمكن القول إن شيئا من ذلك قد تحقق، وصار بوسع العلويين أن يحصلوا على دويلة، أو كانتون ضمن خيار فيدرالي لم يعد يخفى على أحد أنه بات مطروحا في الأروقة الدولية، ولا يمانع فيه، لا الأميركان ولا الروس أنفسهم (يؤمّن نفوذهم وقاعدتيهم العسكريتيين)، وإن اعتبره الإيرانيون والأتراك خطرا كبيرة لجهة تهديد الأكراد في كليهما بالانفصال. أما التفكير في حسم عسكري شامل، كما يحلم بشار، وربما سليماني أيضا، فثمنه كبير جدا لا يمكن احتماله.

أن يأتي القرار الروسي عشية بدء مفاوضات جنيف، فلذلك دلالته دون شك، وبالطبع في ظل غطرسة الخطاب الذي قدمه وليد المعلم، وسيده من قبل، والذي يتحدث عن الصراع، كما لو كان صراعا مع وائل الحلقي (رئيس الوزراء)، وليس مع النظام برأسه وبنيته الأمنية والعسكرية الطائفية، وهنا يمكن القول إن بوتن أراد الضغط على النظام، وعلى إيران أيضا كي يتعاملوا مع المفاوضات بروحية من يبحث عن النجاح وليس الفشل؛ معولا على انتصار مقبل بالقوة الروسية. بل إن الدوائر المقربة من النظام السوري لم تتردد في الاعتراف بذلك بكل وضوح.

هل يعني ذلك أن الانسحاب كان جزءا من صفقة روسية مع الأميركان؟ من الصعب قول ذلك، فالانسحاب كان مفاجئا لواشنطن، لكن التفاهمات الأميركية الروسية على الحل تبدو صحيحة، وهي لا تعجب النظام ولا إيران، وقد لا تكون مرضية للسعودية وتركيا أيضا.

لو كان هناك بعض العقل والرشد في إيران، لأمكن التوصل إلى تفاهم بينها وبين السعودية وتركيا على حل مقبول لسوريا واليمن ولكل الملفات العالقة، بدل منح الوصاية والتأثير لمن لا يريدون خيرا بالمنطقة وأهلها، لكنها لعنة الغطرسة وغرور القوة التي ستصطدم بالجدار المسدود دون شك، بخاصة أن التطورات في اليمن تمضي في غير صالح إيران، فيما يتحول

المأزق في العراق إلى صراع بين القوى الشيعية نفسها، وليس مع تنظيم الدولة وحسب، فضلا عن مأزق حزب الله الكبير في لبنان.

العرب القطرية

المصادر: